

اليعْسُوب

الدار العربية للكتاب

اليَعْسُوب

الدار العربية للكتاب

الدار العربية للكتاب

الدار العربية للكتاب الدار العربية للكتاب

الدار العربية للكتاب

الدار العربية للكتاب





خفيفةً أخفَّ من النسيم ، تحلّقُ اليعسوبُ الكبيرةُ فوقَ الجدولِ المنساب .



تارةً تلامسُ سطحَ الماءِ ،
وطورًا تنطلقُ كالسهمِ إلى السماءِ .
وفجأةً تهوي نحوَ القصبِ
الذي يحفُّ بالغديرِ
لتتوارى في الظلالِ ،
ثمَّ تبدو في النورِ
وبغتةً تتوقفُ عن الطيرانِ
مخفقةً بأجنحتِها .

ولكنْ سرعانَ ما تستأنفُ دوارنَها وتحليقاتِها .
في الهواءِ الدافئِ ، المُفعمِ بروائحِ الأعشابِ ،
تظلُّ تلاحقُ الحشراتِ
المرفرفةَ على الأسلِ والصفصافِ
الذبابُ ، البعوضُ ، النحلُ ، الفراشُ ،
كلُّها طعامٌ لذيذٌ .
ويلٌ لما تقبضُ عليهِ منها وهو يطيرُ !
منْ حينٍ إلى آخرَ ،
تحطُّ اليعسوبُ على لحاءِ شجرةٍ .
ما أجملَها برأسِها ذاتِ العينينِ الواسعتينِ المتألقتينِ
بأجنحتِها المنشورةِ طليقةً لا طيَّ فيها ولا تغضُّنَ
بجسدِها المَمشوقِ الذي يشبهُ سمطًا من اللآلىءِ
الزرقاءِ والصفراءِ مجزّعةً .



حُرَّةً ، تجوبُ وحدَها سماءَ الصيْفِ
المليئةَ بالأغاريدِ وأصواتِ الطبيعةِ المرحة .







وَذَاتَ يَوْمٍ يَقْدَمُ عَلَيْهَا خَطِيبٌ ،
يَعْرِفُ أَنَّ آبْنَتَهُ مُتَسَكِّعَةٌ لاَ تَلْزَمُ حِذْرًا .
وَحَذَرًا مِنْ شُرُورِهَا وَاسْتِعْصَائِهَا ،
يُبَادِرُ إِلَى تَطْوِيقِ عُنُقِهَا
بِالْمِلْقَطِ الدَّقِيقِ الَّذِي فِي ذَنَبِهِ ،
فَلاَ تَسْتَطِيعُ مِنْهُ إِفْلاَتًا .

وَيَبْدَأُ سَفَرُ الزِّفَافِ .
اَلْيَعْسُوبَانِ يَطِيرَانِ فِي الْفَضَاءِ ،
مُلْتَحِمَيْنِ آلْتِحَامًا بَدِيعًا
كَأَنَّهُمَا حَشَرَةٌ وَاحِدَةٌ ذَاتُ أَرْبَعَةِ أَزْوَاجٍ مِنَ الأَجْنِحَةِ .

إِخْتَارَتْ أَسَلَةً رَاقَتْهَا ،
فَحَطَّتْ بِأَسْفَلِ خَوْطَتِهَا
قَرِيبًا مِنْ سَطْحِ الْمَاءِ ،
وَثَقَبَتْ قِشْرَهَا
بِالشَّبَاةِ الَّتِي فِي مُؤَخَّرَتِهَا
وَدَسَّتْ هُنَاكَ بَيْضَةً
تُعِيدُ الْكَرَّةَ مِنْ فَوْقِ ذٰلِكَ بِقَلِيلٍ ،
وَتَظَلُّ تَطُوفُ بِالأَسَلَةِ تَخْرِقُ مِنْ حَوْلِهَا قِشْرَهَا ،
وَتُودِعُ بَيْضَهَا :
وَاحِدَةً ، إِثْنَتَيْنِ ، عَشْرَةً
مِائَةَ بَيْضَةٍ عَلَى الأَقَلِّ .
إِذْ ذَاكَ ، وَقَدْ أَتَمَّتْ مُهِمَّتَهَا ،
وَعِنْدَمَا تَحْنِي رِيَاحُ الْخَرِيفِ الْقَصَبَ ،
تَأْخُذُ الْيَعْسُوبَ الْكَبِيرَةَ رِعْدَةٌ
لَقَدْ حَلَّ الْبَرْدُ ، وَحَانَ الْمَوْتُ ...
تَسْتَأْنِفُ الْمُتَسَكِّعَةُ طَيَرَانَهَا ،
خَفِيفَةً ، أَخَفَّ مِنَ النَّفَسِ
إِلَى أَوَاخِرِ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْجَمِيلَةِ .
وَلٰكِنْ مَا مَاتَ مَنْ خَلَّفَ الْخَلَفَ :
إِنَّ أَرْوَاحًا كَثِيرَةً أُخْرَى
بُعِثَتْ فِي ذٰلِكَ الْبَيْضِ الْمُتَنَاهِي الصِّغَرِ
الْمُتَأَرْجِحِ فِي الأَسَلِ .



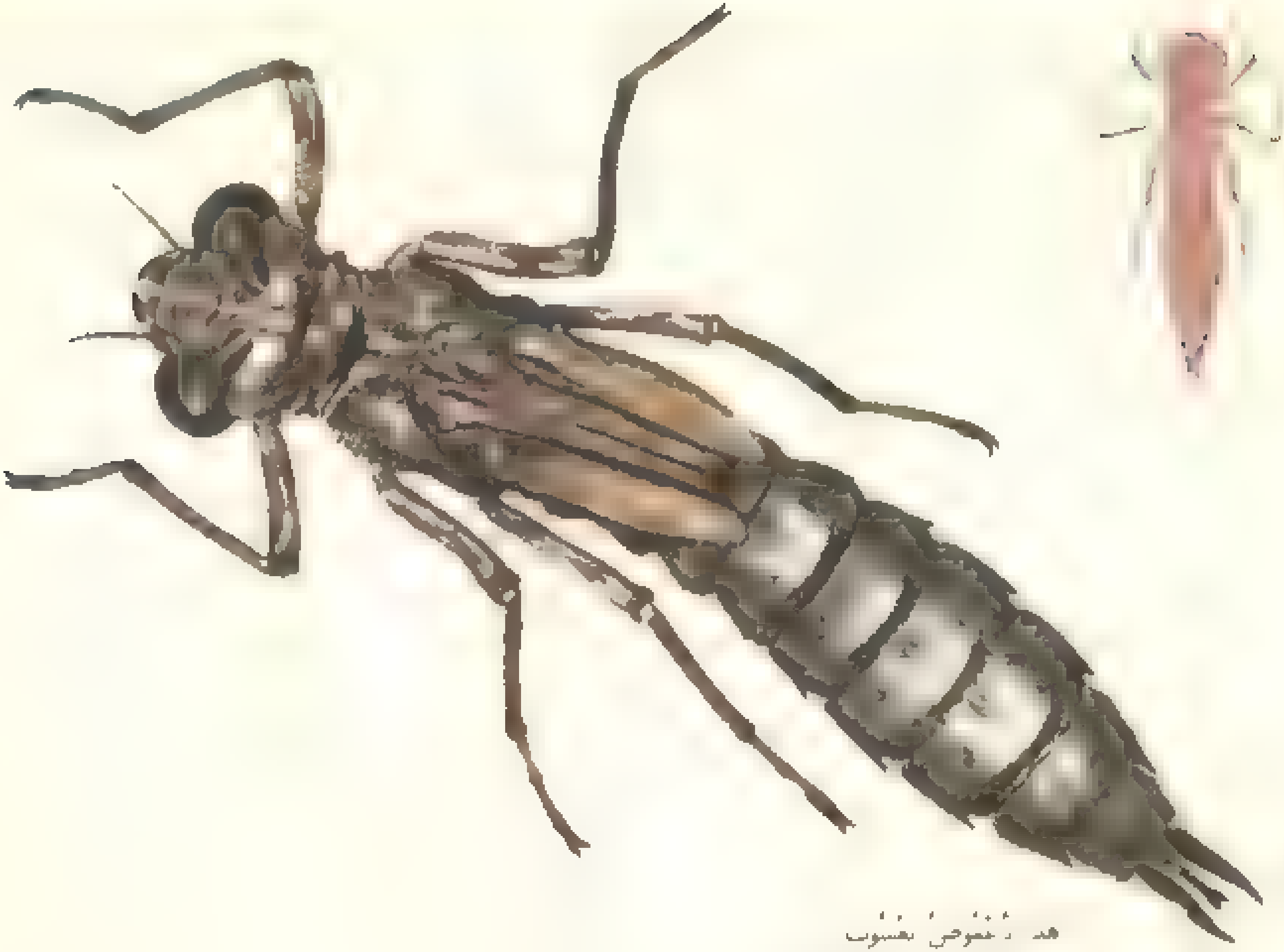
تُودِّعُ [illegible] بِرِفْقٍ رَفِيقَهَا
الَّذِي لَمْ تَزِدْ صُحْبَتُهُ عَلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ .
وَتَعُودُ مُنْفَرِدَةً كَمَا كَانَتْ .
تَبْحَثُ أَيْنَ تَبِيضُ

بَعْدَ بِضْعَةِ أَسَابِيعَ ،
يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ بَيْضَةٍ دُعْمُوصٌ بِحَجْمِ رَأْسِ الْمِسْمَارِ (الدَّبُّوسِ)
وَيَرْتَقِي فِي أَعْمَاقِ الْمَاءِ .

تَمُرُّ الْأَيَّامُ ، وَتَكْبَرُ الدَّعَامِيصُ .
أَجْسَادٌ بِلَا أَجْنِحَةٍ ذَاتُ لَوْنٍ رَمَادِيٍّ كَدِرٍ .
تُوائِمُ رَغْبَةً طَوِيلَةً شَائِكَةً .
مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى يَعَاسِيبَ
فِي حَيَاتِهَا الْأُولَى هَذِهِ ؟

تَمْشِي وَتَبْدَأُ مَا بَيْنَ الْحَصَى ،
أَوْ تَعَلَّقُ بِقُضْبَانِ النَّيْلُوفَرِ .
لَا شَمْسَ تَبْلُغُهَا وَلَا هَوَاءَ .
لَيْسَ لَهَا إِلَّا الظِّلُّ وَالْمَاءُ
وَوَحْلُ الْأَعْمَاقِ .





هذا دُعْمُوصُ يَعْسُوب

هذه كُرةُ لِعشو بسبة ـطر

تنمو و تقف على الماء مثل حشرة حقيقي

إِنَّهُ دُعْمُوصٌ مُسِنٌّ قَدْ غَيَّرَ بَشَرَتَهُ مِرَارًا

يَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِهِ نَوْعًا مِنَ الحَقَائِبِ المُغْلَقَةِ ،

وَفِي هَذِهِ الحَقَائِبِ تَتَكَوَّنُ أَجْنِحَةُ المُسْتَقْبَلِ



مِنْ جميع الجهات يُحدِقُ بها الأعداءُ
تتحرّكُ الأعشابُ
اذا سمكة تلوح
فيسبحُ الدعموص سريعاً ويختفي في نبات [illegible]
رغم أن خلفه بقية الحركة .
وتبقى هنا زعانف
في جسمها إذا لم تعجل بالهرب
هي في طرف معيتها ما نشبة الحيب
تدفع و[illegible] فيه من ماء دفعه .
فتشعر بذلك [illegible] الأمه
وسرعان ما تندفع تتولى الغمرات سريعا

يكرّ هذه الدعامص لتهمه بعض النجم الطري من الآن، لتنمو
وتكبر
فطوطٌ لا تحور تصنع مستترب
برغوثة من تستهجب
دودة صغيرة تستهجن
دعموص يغوص بخطبه
وهكذا

كلما ازددت أكلاً كبرت
وكلما كبرت ازدادت شدة على تصيد
وسواءٌ تُسميت بالمرصاد
سرحتُ ثم تستهق
ذبت أسه ذنب في حذر
شيء فيه محطي، صرعتها

حقا ، انها مُسلحةٌ للصيد ثم تسلح
لها تحت الذقن ما يُشبهُ الذراع ،
بطرفه ملقطٌ
عند الاستراحة ينطوي هذا الذراع ويعلقُ أمام الرأس ،
فيحجبُ بعضهُ
لذلك يُسمُّونهُ القناع
وما هي إلا أن يُبصر الدُّعْمُوص دوده حمر مثلا
حتى ينطلق الذراع كالنابض المندفع
وينطبق الملقطُ على الدُّودة
بسُرْعة عجيبة
أحيانا تكونُ الضحيةُ المقبوضُ عليها
في حجم الدُّعْمُوص نفسه ،
يستحيلُ عليه ازدرادها دفعة واحده
فيمسكُ الفريسة بالملقط امام فمه ،
ويتولى التشريحُ تقطيعها في سرْعة وانتظام
وتتلاحقُ التهامُ القطع على مرأى العين
لقدْ شبع الوحشُ الصغيرُ
قليلا من الراحة
ثم تعودُ الشهيةُ ويستأنفُ الصيد



يكبَرُ الدُّعْموصُ و يعظُمُ ،
ولكن غلافهُ لا يكبرُ
فيضيقُ عليه ،
و يشتدُّ الضِّيقُ شيئاً فشيئاً مع الأيام
حتى يصبح المكثُ و يستحيلُ البقاءُ
وليس لهُ الا نزعُهُ وتغييرُهُ
يشقُّ ذلك الغلافُ من التمطُّط
شقّاً محكماً في الظّهرِ ،
ويخرجُ الدُّعموصُ من وعائه
يخرجُ مكشوطاً ؟
كلا كلا ،
بل بغشاءٍ جديد
رخو
يستطيعُ أن يتمدد فيه ويتمطى كما يشاءُ
ذلك هو السلخُ
وهكذا ينمو الدُّعموصُ و يكبَرُ
ويحتفظُ الغلافُ المهجورُ
بصورة الحيوان الذي كان يسكُنُهُ
في جميع ملامحه وأدق تفاصيله
فلا يبدو فرقٌ بين الحالين
الا شقٌ في الظهر
هو تلك الفرجة التي خرج منها الدُّعموصُ





هي الأسهل صغيرة كانت أم كبيرة
هي البعوضة التي لا تشبع أبدًا
هي ذبابة المنابع
هي حرب ند، تلك الداهية الرهيبة
ذات الإبرة السامة.
تطعن بها فريستها فتسممها

مسكينةٌ دعاميصُ اليعاسيب!
لقد كانت عديدة
ويعلمُ اللهُ كم سيبقى منها
بعد النجاة من عديد الأخطار!



ما بين ماء النبع المنعش
وماء الصيف الدافئ .
سوف تصل طفولتها الطويلة
شهوراً وأعواماً

ولسوف تعرف فصلين لا حدّ لهما
فصلُ حرٍّ للأكل
وفصلُ بردٍ للنوم

هناك تخرج عند الظل والأوحال .
تجد الصفصاف تورقه مرارا
يفقدها ثم يستعيدها
حتى تواصل الغاطس في قعر الماء
حيث الصياد الذي تطارده الصيادون

متى ما ترى تغادر الجدول
وتنتهي مغامرتها الخطرة هذه ؟



شيئاً فشيئاً ، من سلخ إلى سلخ ،
تتطورُ الدعامصُ
في هذه الأغمدة الغريبة التي تحملُها على ظهرها

ينجز عمل عجيب
أجنحة يعسوب المستقبل تتواصل نموها
مع كل سلخ
تزداد الأجنحة طولاً وعرضاً
وتقترب الأجنحة من شكلها النهائي التام
هلْ تريدُون أنْ تُشاهدُوا دعاميص حيّةً ؟
خُذُوا سلّةَ صيْدٍ متينةَ الشّباكِ ،
وسيرُوا مع الجدْوَل
كي تصلوا بها الأعماق
فتّشُوا حتّى في أصْغرِ المنابع والغُدْران ،
ستحصلُون على دعاميص
لمختلف أنواع من اليعاسيب
بعضُها لا يزالُ في مقتبل حياتها المائية الطويلة
وأُخرى توشكُ على آخر طوْر
من أطوار تحوّلها





حان الوقت
الذي يصبح فيه الدعموص
بحياة الأم.

لقد صار عاجزا عن المشي
يزحفُ في الوحل زحفا
وفقد الشهية
وتخلى عن الصيد
وبات سالماً.
إن قوة مجهولة غامضة تدعوه الى غير هذا المكان

وذات يوم من تمام حوب ... نوبير

عند الفجر

تنشق قشرته ،

تتخطى حدود العالم المائي

وتظهر في وضح الصبح

وتواصل سعيها صعدا

حتى يبلغ ... القمة وبعد ذلك ...

هناك يتوقف

يسعر ... في ...

ويظل كذلك ... لا يتحول

هل ... ؟

ثم ... حات

... ... اهاه

ويجف

الحقيقة ... ثم ... دعفوص

هذا الذي ... على القمة

تحت هذه ... ذات اللون الكدر





ينشقُ هذا القميص الجلديُ من عنده

ويبرزُ من فتحته ظهر مقوس

ثم تتسعُ الخروق

وتتخلصُ الرأس ومقدمُ البدن بلا عناء

وفي الخطوة التالية

تتخلصها تبرز

بلوغه الجديد حدث العنف

لتمشي في النور مضاعفة الجذب

هذ روح من القوائم روحين ثم ثلاثة أزواج تخرجُ من غمدها

نا ة من خفد

سيرنج اليعسوب لتكيبه

ورأسها منكس متدلي

في انتظار أن تجف قوائمها وتشتد

ثم ينهض الشخص بعد من جديد على القصب

وتنجذب شخص بطنه من الغلاف



يا لهُ مِنْ امتحانٍ !

ويا لهُ مِنْ فُتورٍ ووهنٍ لا تستطيعُ معهُما حراكًا

المهمّ ألا ينقضّ عليها عُصفورٌ وهي في هذه الحال

فيلتهمها التهاما

وتتمّ هذه الرائعةُ الإلهيةُ اكتمالًا

مع تطلّق الأجنحة البديعة وانتشارها

تحت أشعة الشمس .





في النسيم العليل ،
ترتعش الأجنحة وتهتز .
وأخيرا تنتفض ،
ويزداد انتفاضها شيئا فشيئا .
إن يعسوبا جديدة تنطلق محلقة في النور !





الْقِصَّةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَقْرَؤُونَهَا
هِيَ قِصَّةُ حَيَاةِ يَعْسُوبٍ مِنْ فَصِيلَةِ
« نَاشِرَةِ بُرْدَيْهَا »
(وَهِيَ يَعْسُوبٌ كَبِيرَةٌ
تَبْسُطُ عِنْدَ الرَّاحَةِ أَجْنِحَتَهَا أُفُقِيًّا
كَأَوْرَاقِ الْكِتَابِ الْمَفْتُوحِ)
عَلَى أَنَّهَا لَا تَخْتَلِفُ عَنْ قِصَّةِ حَيَاةِ
أَنْوَاعِ الْيَعَاسِيبِ الْأُخْرَى
إِلَّا بِبَعْضِ التَّفَاصِيلِ .
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هُنَاكَ صِنْفًا أَجْنِحَتُهُ زَرْقَاءُ أَوْ دُخَانِيَّةٌ .
يُطْبِقُهَا الْوَاحِدَ حَذْوَ الْآخَرِ عَمُودِيًّا .
وَغَيْرُ هَذَيْنِ كَثِيرٌ .
وَكُلُّهَا تُبْهِجُ بِأَلْوَانِهَا وَتَحْلِيقِهَا
حَوَاشِيَ الْجَدَاوِلِ وَالْغُدْرَانِ .





Printed in Spain by Mateu Cromo, S. A.

مجموعة القصص المترجمة

1 - أسرة الجرذان
2 - مملكة النحل
3 - القطط الصغيرة
4 - دهاء ابن آوى
5 - العرمن الصغير
6 - عصفور المطر
7 - حمار الزرد الصغير
8 - حكاية ذئبة مع أوعال
9 - الفهد الأسود الكبير
10 - ريشة فرخ البط
11 - البساط المجنح
12 - «عنزة أمه»
13 - الأمير لقلق
14 - القرد الصغير
15 - اليعسوب

الثمن: 0,280 د.ل — 0,400 د.ت